

اولا : حياته

ليون تروتسكي (اسمه الحقيقي ليف دافيدوفيتش برونشتاين) (٢٥ أكتوبر ١٨٧٩ - ٢١ أغسطس ١٩٤٠) هو ماركسي بارز وأحد زعماء ثورة أكتوبر في روسيا عام ١٩١٧ إضافة إلى الحركة الشيوعية العالمية في النصف الأول للقرن الماضي ومؤسس المذهب التروتسكي الشيوعي بصفته إحدى فصائل الشيوعية الذي يدعو إلى الثورة العالمية الدائمة ، وتسلم بعدها مفوضية الحرب ، وهو أيضاً مؤسس الجيش الأحمر ، كما أنه عضو المكتب السياسي في الحزب البلشفي إبان حكم لينين، كان له الأثر الفعال في القضاء على أعداء الثورة، عينه لينين مفوض العلاقات الخارجية عندما أسس حكومته البلشفية الأولى عام ١٩١٧، حيث يعتبره أفضل العقول في الحزب الشيوعي، وأقدر من لينين في بعض الأمور ، فعملاً جيداً مع بعضهما، لقد التحق بالحزب الاشتراكي الديمقراطي الروسي الذي انضم أثناء انعقاد مؤتمره الثاني الذي عقد في بروكسيل ولندن عام ١٩٠٣ والذي حدث فيه الانشقاق التاريخي بين البلشفية والمنشفيك. انظم تروتسكي إلى جناحه اليميني المنشفيك لفترة ثم انفصل عنهم واتخذ موقفاً مستقلاً عن كلا الجناحين ثم انضم إلى البلشفية.

كان تروتسكي يسعى دوماً إلى تولي زمام السلطة في الحزب والدولة، لكن لينين الذي حظي في مرحلة الثورة والحرب الاهلية بشعبية أكبر منه حال دون وقوع ذلك، وأعتقد أغلب الشعب الروسي أن تروتسكي سوف يخلف لينين في رئاسة الحزب ولكن ستالين كان ذا سلطة قوية فبدأ التصادم مع ستالين بجدال حول نقابات العمّال ، فقد أراد تروتسكي جعلها تحت سلطة الدولة ، ولم يرغب ستالين في ذلك ، إلا أنه بعد موت لينين عام ١٩٢٤م لم يحضر تروتسكي الجنّازة لعدم تواجده في المدينة وقتها، فيما أعلن ستالين نفسه خليفة للزعيم واتهم تروتسكي بقلّة الاحترام للينين، فاحتدم الصراع من أجل السلطة بينه وبين ستالين الذي تمكن من التحالف مع زينوفيف وكامنيف وبوخارين وغيرهم بل وتمكن أيضاً من عزل انصار تروتسكي في الحزب واشعال خلافات بينه من جهة وانصاره من جهة

أخرى، وفي عام ١٩٢٦م تم اءفاء تروتسكي عن العضوية في المكتب السياسي في الحزب البلشفي بتهمة النشاط المعادي للحزب ونفيه من الحزب الشيوعي من قبل ستالين واضطر للسفر في عدة دول غربية حتى وصل في عام ١٩٣٦ الى مكسيكو وتم اغتياله فيها.

ثانياً: نظرية الثورة الدائمة

طوّر ليون تروتسكي، من خلال الخبرة الهائلة لثورة ١٩٠٥، نظريته الشهيرة والمعروفة بـ "الثورة الدائمة"، تلك النظرية التي تعد واحدة من أهم إسهامات تروتسكي في النظرية الماركسية الثورية، والتي لا غنى عنها في الإجابة على التساؤلات الخاصة بالثورة والتحرر في بلدان العالم المتأخر. يرى تروتسكي يجب أن تتعدى نظرية الثورة الدائمة حدود روسيا إلى أنحاء العالم، وتدعو إلى اشعال ثورات متتالية في بلدان مختلفة لتقوم الثورة العالمية التي صارت أساس قوّة وساطة النخبة الشيوعية في اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية بعد عام ١٩١٨.

لقد فتحت ثورة ١٩٠٥ الباب أمام عدد هائل من السجالات بين الاشتراكيين في روسيا وعبر الحركة الثورية في العالم كله. وحتى قبل اندلاع تلك الثورة، كان الثوريون يتسائلون: أين يمكن أن تتدلع الثورة؟ فيما لم يتوقع أحد أن تبدأ من روسيا؛ فلقد كانت روسيا شديدة التأخر اقتصادياً وسياسياً، مقارنةً بدول أوروبا، وكانت تقبع تحت السيطرة الأتوقراطية للقيصر بينما كان الفلاحون يشكلون أغلبية السكان فيها.

وبشكل عام، كان الاشتراكيون في العالم كله يتفقون على أن روسيا سوف تتبّع خطوات أوروبا، حيث أنها ستشهد، أولاً قبل أي شيء، ثورة برجوازية - على غرار الثورة الفرنسية ١٧٨٩ - لبناء قوى المجتمع الرأسمالي، كشرط موضوعي مسبق على الثورة الاشتراكية.

ويدون أي استثناء، كان جميع الماركسيين الروس يرون أن الثورة القادمة ستحصر مهمتها في إزاحة الأوتوقراطية القيصرية وتمهيد الطريق للتطور الرأسمالي، وهكذا كان النقاش يدور حول امكانية قيامها في بلد زراعي متخلف ام صناعي متطور؟ وحول تلك القوى التي من المفترض أن تقود مثل هذه الثورة(عمال ام فلاحين ام برجوازية) وهل ستقوم بثورة اشتراكية(دكتاتورية البروليتاريا) ام ديمقراطيةبرجوازية؟.

جادل المناشفة بأنه من الضروري بناء تحالف بين العمال والليبراليين الذين يمثلون الطبقة الرأسمالية سياسياً. كانت الثورة الروسية بالنسبة للمناشفة (الاقليّةالمعارضّة لافكارالبلاشفة وعلى رأسهم لينين)ذات طبيعة ديمقراطية برجوازية، وبالتالي فإنه لا ينبغي للطبقة العاملة أن تطمح إلى السلطة، بل عليها فقط دعم البرجوازية الليبرالية ضد النظام القيصري. وبموجب هذا المنطق الميكانيكي كان المناشفة يشوهون أفكار ماركس عن تطور المجتمعات، كانت نظرية المناشفة " للثورة عبر مراحل" تؤجل احتمال حدوث ثورة اشتراكية إلى المستقبل البعيد. وفي انتظار ذلك، ينبغي على الطبقة العاملة أن تلعب فقط دور التابع للبرجوازية الليبرالية، هذه النظرية الإصلاحية نفسها هي التي ستتسبب لاحقاً في هزائم للطبقة العاملة في الصين سنة ١٩٢٧، وإسبانيا ما بين ١٩٣٦-١٩٣٩، وإندونيسيا سنة ١٩٦٥ والتشيلي سنة ١٩٧٣.

أما لينين والبلاشفة، فقد رفضوا الطرح المنشفي، مشيرين إلى الجبن السياسي الذي يتميز به الليبراليون في الصراع مع القيصرية. وفي المقابل جادلوا - أي البلاشفة - حول ضرورة إقامة ذلك التحالف ليس بين العمال والليبرالية، بل بين العمال والفلاحين لقيادة الثورة.

اتخذ تروتسكي، مستنداً إلى خبرة ثورة ١٩٠٥، موقفاً مختلفاً عن كل من الطرفين، فقد جادل بأن الثورة في روسيا يمكنها أن تصبح ثورة اشتراكية تحت قيادة الطبقة العاملة. لقد أشار ماركس في أكثر من مرة خلال موجة الثورات عبر أوروبا ١٨٤٨، إلى أن الطبقة الرأسمالية قد كفت منذ زمن أن تكون طبقة ثورية. وقد بنى تروتسكي وجهة نظره باتساق تام مع خبرة ماركس

واستنتاجاته، وهكذا جادل بأن الطبقة الثورية الوحيدة التي يمكنها قيادة الثورة بحسم في روسيا هي الطبقة العاملة .

لقد كان تروتسكي متفقاً بشكل كامل مع وجهة نظر لينين للرأسماليين الروس الذين، بالرغم من مطالبتهم المحدودة بالإصلاحات، إلا أن خوفهم من النضالات العمالية كان أكبر كثيراً من كراهيتهم للقيصر كما أثبتت ثورة ١٩٠٥. وبناءً على ذلك، كان تروتسكي ينتقد بشدة الفكرة القائلة بأن على ثورة روسيا أن تحذو حذو أوروبا، أي أن تقوم بإنجاز الإصلاحات السياسية بشكل كامل في إطار الدولة الرأسمالية.

انطلق تروتسكي من تحليل تطور الرأسمالية في روسيا ضمن السياق العالمي؛ فلم تتطور الرأسمالية في روسيا بنفس الطريقة التي تطورت بها في فرنسا أو بريطانيا - من المنغلقات الحرفية إلى الورش إلى المصانع العملاقة. بل أن روسيا، في سياق التنافس الاقتصادي والعسكري مع دول أوروبا المتقدمة، قد قفزت لتمتلك بعض من أهم الصناعات المتقدمة في العالم، حتى بالرغم من التأخر الاقتصادي العام الذي عانت منه.

أطلق تروتسكي على ذلك النمط من التطور إسم "التطور المركب واللا متكافئ"، فهو تطور مركب لوجود وامتزاج أكثر من مرحلة للتطور الاجتماعي في نفس الحقبة، وهو أيضاً لا متكافئ نظراً لأن المناطق المختلفة تتطور نحو الرأسمالية بمعدلات مختلفة ومتفاوتة. يمكننا ملاحظة هذا النمط من التطور في الكثير من البلدان المتأخرة اقتصادياً اليوم؛ فهناك على سبيل المثال الملايين من الفلاحين الذين يستخدمون أدوات شديدة التأخر في حرق الأرض جنباً إلى جنب مع تطور غير مسبوق في التكنولوجيا، وهناك من يعيشون في أحياء عشوائية أو مساكن من الصفيح جنباً إلى جنب مع المصانع الضخمة والمتطورة.

رأى تروتسكي أنه على الرغم من أن الكثير من الفلاحين سيؤيدون ويدعمون النضال من أجل التغيير (ناضل تروتسكي بكل دأب خلال ثورة ١٩٠٥ للوصول إلى الفلاحين ودفعهم إلى الموجة الثورية)، إلا أن بعثرتهم في الريف وطبيعة إنتاجهم الفردي المنعزل سيقفان عقبة أمام انخراطهم في القلب من

النضال من أجل الثورة الاشتراكية لذلك لا بد من قيادة البوليتاريال للثورة وللفلاحين المنضمين تحت لوائها.

إن النمط الذي تطورت به الرأسمالية في روسيا ساهم في تمركز كتل هائلة من العمال في مراكز صناعية عملاقة في المدن، وأولئك العمال هم من شكلوا رأس الحرية الجماهيرية في ثورة ١٩٠٥، كان العمال هم الوحيدون القادرون على قيادة النضال ضد القيصر من أجل الحرية السياسية، لكن كان عليهم أيضاً النضال ضد الرأسماليين من أجل القضاء على الاستغلال الواقع عليهم. وهذا يعني أن النضال العمالي لم يكن فقط من أجل انتزاع بعض بعض الإصلاحات الديمقراطية ضمن الحدود الضيقة للرأسمالية، بل نضالاً من أجل السلطة العمالية.

كان تروتسكي على إدراك تام، بأن العمال يمثلون أقلية من السكان في روسيا، ولذا فقد تمسك تروتسكي بأن انتصار الثورة وبناء المجتمع الاشتراكي في روسيا سيتوقف بالتأكيد على الظرف العالمي وانتشار الثورة لبلدان رأسمالية أكثر تقدماً. فقد استند تروتسكي طوال حياته إلى مبدأ "الأممية"، والأممية ذاتها هي انعكاس نظري وسياسي لتطور الرأسمالية إلى مرحلة الإمبريالية وكذلك الاعتماد الاقتصادي لمناطق مختلفة من العالم على بعضها البعض - فيما نطلق عليه اليوم "العولمة الرأسمالية".

أما اليوم، فالرأسمالية تسيطر بالفعل على كل بلدان العالم، إلا أن العمال لا يزالون يمثلون أقلية من السكان في بعض البلدان المتأخرة. وهنا تشير نظرية الثورة الدائمة إلى أن العمال، حتى برغم قلة عددهم في تلك البلدان، يظلون هم القوة الأساسية للتغيير الاجتماعي والسياسي؛ فالعمال لديهم القوة الجماعية لإنزال الهزائم بالرأسمالية، كما أن نضالهم بإمكانه أن يمنح ثقلاً سياسياً وتنظيماً هائلاً لكفاح الأقليات المضطهدة والعمال الزراعيين والمهمشين، إلخ. أوضح تروتسكي أيضاً من خلال نظرية "الثورة الدائمة" كيف يمكن أن ينضج نضال العمال من أجل الإصلاحات الديمقراطية إلى نضالاً مباشراً من أجل الاشتراكية.

لم يدع تروتسكي على الإطلاق أن ذلك سوف يحدث بشكل حتمي. ولكنه أوضح، كما أشار المناضل الاشتراكي الثوري توني كليف، أن الإمكانية

مطروحة لدمج النضال من أجل الديمقراطية بالنضال من أجل الاشتراكية، لكن هذه السيرورة يمكن إيقافها بواسطة أولئك الذين يدعمون الدولة البرجوازية وأجهزتها.

عرفت روسيا الديمقراطية لأول مرة في تاريخها في المجالس العمالية (السوفيات)، وذلك دون أن تمر عبر الديمقراطية البرلمانية للرأسمالية. وهكذا كانت فكرة تروتسكي هي أن الثورة الاشتراكية في روسيا ممكنة حتى من دون العبور من خلال المراحل التي مرت بها الرأسمالية في البلدان الغربية المتقدمة. ولكن هذه هي الخطوة الأولى فقط، فالمجتمع الاشتراكي لا يمكن أن يستمر في وضع مستقر إلا مع انتشار الثورة في أرجاء أخرى من العالم، لاسيما البلدان المتقدمة. أما الثورة الروسية في ١٩١٧، فقد كانت بمثابة المسرح العملي لاختبار نظرية تروتسكي حيث أثبتت صحتها على الجانبين: الإيجابي والسلبي.